تدوين القرآن الكريم وتراجمه

الأستاذ الدكتور محمد حميد الله

الكتب المنزلة قبل القرآن

روى ابن العربي عن رسول الله ﷺ أن الله خلق مائة ألف آدم. و نحن من أولادهم.(١) وروى أحمد بن حنبل أن النبي ﷺ قال أن الله أرسل منذ آدم عليه السلام مائة وأربعا وعشرين ألف من الأنبياء من بينهم ثلاث مائة وخمسة عشر صاحب رسالة. (٢)

ومن هذه الكتب المنزلة ما عزى الى آدم عليه السلام ، والى ابنه شيث عليه السلام ، ولم يبق لنا منهما عين ولا أثر. ومنها ما عزى الى ادريس (أنوخ) عليه السلام . في الجيل السابع من آدم كما أكد التوراة. وكان اقتبس منه رسالة يهودا في العهد الجديد بشارة آخر الأنبياء ، ووجدوا حديثاً مخطوطة حبشية لكتاب أنوخ فيما وجدوا في منارة البحر الميت ، في الأردن. وفيها هذه البشارة وأيضا أشياء ما لا يمكن أن تكون منها من الحوادث التى وقعت بعد زمن أنوخ عليه السلام. وفي العراق توجد الى يومنا هذا طائفة من الصابئين يدعون أنهم لا يزالون يتبعون دين نوح عليه السلام ، وأنه كان عندهم في قديم الزمان كتاب نوح عليه السلام وضاع ولم يبق إلاعدة أسطر من الأوامر الأخلاقية.

وذكر القرآن الكريم بالصراحة صحف إبراهيم عليه السلام (٣) واقتبس منها آيات ، وهذه الصحف معروفة عند اليهود والنصارى أيضا ولكن بدون معلومات عن

محتواها. أما صحف موسى عليه السلام فقد ذكرها القرآن مرارا عديدة، وهى متداولة بين أيدينا ونجدها كخمس رسائل في أول العهد القديم. ومن تاريخها أن السفر الخامس (كتاب التثنية) لم يعرف في أول الأمر، ولما مضى ستمائة سنة على موسى عليه السلام، جاؤا الى أحد ملوكهم بمخطوطة مجهولة وقالوا وجدناها في مغارة. فسلمها الملك الى نبية لهم. وعند اليهود يجوز لامرأة أن تكون نبية. فقالت: هى لموسى عليه السلام. وبالعموم فيما يتعلق بكتب موسى عليه السلام نسميها " التوارة" فكانت عندهم إلى زمن بخت نصر ملك بابل الذي حارب فلسطين واحتل بيت المقدس وجمع جميع مخطوطات التوارة وحرقها عن آخرها. فلما مضى عليه مائة سنة. كان عندهم نبى اسمه عزرا (عزير؟) عليه السلام، فأكد أنه يحفظ التوراة، فأملاها لهم. ثم بعد ذلك قاد أنطيو خوس جيوش الروم واحتل بيت المقدس وأتلف جميع مخطوطات التوراة، وبعد زمن جاءت الروم تحت قيادة طيطوس وأتلفوا نسخ التوراة عن جديد. والذي بين أيدينا هو الإعادة الثالثة، ولكن كيف وعلى أى أساس؟ لا نعرفه ومع هذا نجد فيها بشارة النبي المنتظر. ومجرى زبور داؤد عليه السلام مثل ماجرى للتوراة.

والمجوس أيضا يدعون كتابا ملهما من الله (على زردشت) واسمه أويستا. وبعد زمن تغيرت لغة البلاد لهجوم الأجانب واحتلالهم، ولذلك ترجموا خلاصة الأصل إلى اللغات الجديدة. ولكن الذي يوجد الآن ليس منه الا العشر أوأقل منه. وفيه أيضا بشارة آخر الأنبياء "رحمة للعالمين" وعند البراهمانيين من الهند كتب دينية يدعون أنها منزلة من الله (وفيها أيضا بشارات لآخر الأنبياء) مثل ويداء وبرانا، و گيتا وابانيشدا، وقال البيرونى أنها تداولت على الألسن فحسب ولم تكتب إلا قبيل سفره الى الهند.

إن عيسى عليه السلام جاء بالانجيل وبَلغّه شفاهيا، ولم يكتبه ولم يمله، كأنه

خاف أن يصيبه ما أصاب التوراة؛ فأراد أن يبقى في قلوب المؤمنين به ، وبعد زمن طويل بدأ حواريون ومن تبعهم أن يدونوا ما حفظوا من سيرة عيسى عليه السلام ، وسمى كل واحد من هؤلا المؤلفين ذكرياته باسم الانجيل. ويوجد أكثر من سبعين كتابا، اسم كل واحد منها الانجيل. والكنيسة انتخبت أربعة منها ولكن لا نعرف متى ؟ وكيف ؟ وقالت وإن الباقى منها غير موثوق بها. وفي الأنا جيل المتداولة أيضا بشارات عيسى عليه السلام عن النبى الأخير.

هذه خلاصة ما حدث لكتب أنبياء السلف عليهم الصلاة والسلام.

القرآن وتدوينه

تولد نبى الاسلام سيدنا محمد ﷺ بمكة في سنة ٥٦٩ للميلاد (وأخطأ من زعم سنة ٥٧٠ أو ٥٧١) . كان التقويم بمكة على سنة شمسية ولم يلغه النبي عليه السلام إلا في حجة الوداع، ثلاثة أشهر قبل وفاته ، وبما أنه توفى سنة ٦٢٣ للميلاد وكان سنه ٦٣ سنة، فلا بد من أن كانت ولادته في ٥٦٩ للميلاد ، على كل حال لما بلغ أربعين سنة أوحى الله إليه في شهر رمضان (أى ديسمبر ٦٠٩) ، وكان أميّا لا يقرأ ولا يكتب. ومن لطيف حكمة الله أن الوحى الأول (سورة ٩٦، آيات ١-٥) الى النبي الأميّ كان أمرا بتعلم القراءة وثناء على القلم والمعرفة لما لم يعلم قبل. ثم قضى الله في حكمته البالغة فترة ثلاث سنوات في الوحى كى يستعد النبي الأمى لأداء واجبات النبوة ثم أنه تكرر نزول الوحي ودام لعشرين سنة أخرى إلى وفاته في ربيع الأول سنة ١١ للهجرة ٦٣٢ م وأعتنى النبي عليه السلام بجمع ما كان ينزل عليه من وقت الى آخر على الطريق الآتى: وذكر ابن اسحاق (٤) : كان إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء. ثم يدعو كاتبا فيملى عليه. روى البخارى (٥): "لما نزلت ﴿ لا يستوى القاعدون﴾ الآية قال النبيﷺ : ادع لى زيدا ، وليجئى باللوح والدوات والكتف ثم قال:

أكتب ..... - روى الهيثمي (٦) عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب الوحي لرسول اللّه ﷺ - وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم سرى عنه فكنت أدخل بقطعة المسب أو كسرة فأكتب وهو يملي عليّ - فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا - فاذا فرغت قال : اقرأه - فأقرأه ، فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس رواه الطبراني باسنادَين رجال أحدهما ثقات، فكان من شدة احتياطه ﷺ أنه كان يملي ثم يطلب أن يقرأ ماكتب ليصحح لو أخطأ - ولا بأس بأن نلفت نظر القارى الى ما قال الهيثمي أن هذا الحديث بعينه مروى باسنادين رجال أحدهما ثقات، أى حتى غير الثقات لا يكذبون دائما - (وهذا في المعجم الأوسط للطبراني)

إن ما نقلناه عن زيد بن ثابت يتعلق بما بعد الهجرة - ولا بد من أن يكون كذلك في مكة قبل الهجرة أيضا؛ لأن كتابة القرآن مذكورة في السورة المكية من القرآن مثلًا :

﴿ وَ قَالُوْا اَسَاطِيْرُ اْلَأوّلِيْنَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلٰى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيْلًا﴾

(الفرقان ٣٥-٥)

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِيْ كِتَاب مَكْنُوْن لَا يَمَسُّهُ إِلَّا اْلمطَهَّرُوْن﴾

(الواقعة: ٥٢-٧٧-٣٢)

﴿ رَسُوْلٌ مِنَ اللّٰهِ يَتلُوْ صُحُفًا مُطَهَرةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾

(البينة ٩٨-٣٢)

وفي الحديث أيضا ذكر كتابة القرآن قبل الهجرة - مثلًا :

① أسلم سيدنا عمر رضى الله عنه في السنة للبعثة بعدما قرأ سورة طه (٧)

ومعلوم أن سورة طه هي سورة ٢٠ تدوينا و ٤٥ نزولا ، ونقل السهيلى (٨)

عن يونس أن الصحيفة (التى قرأهاعمر) كان فيها مع سورة طه ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (وهي ٨١ تدوينا و ٧ نزولا)

② ذكر السمهودى (٩): عن ابن زبالة أن رافع بن مالك الزرقى (الانصاري) لما لقى رسول اللّه ﷺ وسلم بالعقبة أعطاه رسول الله ﷺ ما أنزل عليه في العشر سنين التى خلت.

③ قال : وقدم به رافع المدينة فجمع قومه فقرأه في مسجده..... وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : مسجد قرئ فيه القرآن، مسجد بنى زريق

نزل القرآن نجما ٢٣ سنة. ولم يدونه النبى عليه السلام آليا حسب ترتيب النزول بل حسبما ألهمه الله فى الترتيب الذى بين أيدينا. ولم تنزل السور كاملة دفعة واحدة بل في أثناء زمن طويل أو قصير. فتوجد في سور مكية آيات نزلت بعد الهجرة ، وسور مدينة أدخلت فيها بعض ما نزل قبل الهجرة. فمن البديهى أن النبي عليه السلام كما نزل عليه وحى صرح لكاتبه أين محل الوحى الجديد في مجموعة القرآن الموجود في ذلك الحين ، كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول اللّه ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد. فكان إذا نزل عليه الشئ دعا من كان يكتب ، يقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التى يذكر فيه كذا وكذا (١٠) قال ذوات العدد أى نزل أجزاء سور متعددة في نفس الزمن فكان الكتاب يكتبونها موقتاً على قطعات لخاف أو عظام أو أوراق ، وعند تمام نزول سورة كاملة كان الكتاب يبيضونها في حضور النبي عليه السلام. وهذا ماتراه في رواية الحاكم في المستدرك والسيوطى في الاتقان : عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : " كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع" ولما خرج به الكاتب الى المسلمين كانوا يأخذون النقول لأنفسهم.

وأمـر الـنبى عـليه السلام أيضا تلقى القرآن من أستاذ مستند أى رأسا من النبي في أول الأمر، ثم من الذين أذن لهم النبي عليه السلام تعليم الناس القرآن، والحقيقة أن الـقـراءـة من نسخة مكتوبة لا تكفى لأنه يجوز أن تكون فيها أخطاء من سهو الكاتب ، أو اشتبـاه فـي الـخط العربى القديم الذى لم يعرف النقاط ولا علامات التشكيل للحروف. والـقـراءـة مـن أجيـال الأساتذة المستندين دامت الى يومنا هذا بين المسلمين. وهاكم كـالـمثـال نسـخة شهـادتـى من شيخ القراء الشيخ حسن الشاعر من المدينة المنورة ، وهى أفخر الشهادات العلمية عندى التى سعدت بحصولها في عمرى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الـحمد للّٰه الذي أودع جواهرالمعانى الضيائية وقالب زواهر المبانى من الحروف الهـجـائية وأنـزل الـقـراء ت بلسان عربى مبين بواسطة الروح الأمين على رسوله خاتم النبيين أفصح من نطق بالضاد من بين العباد صلى اللّٰه عليه وعلى آله وأصحابه (بعد) فهـذه إجـارة صريحة من الفقير إلى رحمة ربه القدير حسن بن ابراهيم الشهير بالشاعر الـمـقـرى والـمـدرس بـالـحرم الشريف النبوى إلى ولده الشاب الرشيد الكامل محمد حـميـد الـلّٰـه بن ابى محمد خليل القاطن حيدر آباد دكن ، فأنه قرأ على ختمة كاملة من أولهـا إلـى آخـرهـا بـالتـحـريـر والتـدقيـق وقـد استـجـازنى فأجزته بأن يقرأ بكلها رواية بشـروطهـا الـمـعتبـرـة وهـى تـقـوى اللّٰه تعالىٰ في السر والعلانية ،ولى منه الدعوات الـصـالحات في الخلوات و الجلوات كما أقرانى واشترط على شيخى وأستاذى وحيد دهـره وفـريـد عـصره البصير بقلبه ، تغمده اللّٰه برحمته الشيخ حسين بن محمد بيومى وهـو عـن الشيـخ مـحمد سابق وهو عن الشيخ خليل المطوبسى وهو عن الشيخ محمد سـابـق وهـو عن الشيخ خليل المطوبسى وهو عن الشيخ على الحلو بمكة المكرمة وهو عـن الشيـخ أحـمد ابو سلمونة وهو عن الشيخ أسافى وهو عن الشيخ أحمد الميهى عن

أبيه الشيخ على الميهى عن أبيه الشيخ على الميهى (وح إلينا) وهو عن سيدى محمد بن محمد الجزرى عن سيدى عبد الرحمن القسطنطنى عن سيدى عبد الرحمن ألازميرى عن سيدى سلطان المزاجحي عن سيدى أحمد المسيرى عن أبى جعفر الشهير بأوليا افندى (وح الينا) فأما رواية حفص فحدثنا بها أبو الحسن طاهر بن غلبوت المقرى قال حدثنا بها ابو الحسن على بن محمد بن صالح الهاشمى المقرى بالبصرة قال حدثنا بها أبو العباس أحمد بن سهل الأشنانى على أبى محمد عبيد الصباح على حفص على عاصم وهو عاصم بن إبى النجودا وكنيتهٔ ابو بكر ، تابعى قرأ على ابى عبد اللّٰه بن حبيب السلمى وزر بن حبيب الأسدى على عثمان وعلى وابن مسعود وأبى بن كعب وزيد بن ثابت على النبي ﷺ عن جبريئل عن اللوح المحفوظ عن رب العزة جل جلاله وعم نواله۔

- راجى عفو بّه القادر
- حسن بن ابراهيم الشاعر
- ختم (في ١٢ ربيع الاول ١٣٦٦)

وزد على هذا ، أن النبى ﷺ أمر المسلمين أن يحفظوا القرآن ويكرروا تلاوته مرّات عديدة كل يوم في صلواتهم وفي أوقات فراغهم آناء الليل وأطراف النهار۔ ومع أنه لم يجب حفظ جميع القرآن على كل واحد من المسلمين ، ولكن نجد عددا لا بأس به من الصحابة حفظوا جميع القرآن في حياة النبي عليه السلام ، ومن بينهم امرأة من الأنصار أم ورقة، من قدماء المؤمنات ، وكانت أرادت أن تشترك في جيش المسلمين في غزوة بدر وكان سماها النبى عليه السلام إمام المسجد وكانت تؤم الرجال والنساء من أهلها، ولها مؤذن۔ (١١)

الإعلان بين المسلمين والمسلمات عند كل وحي جديد وتدوينه كتابة ، وأمر التعليم عند أستاذ مستند ، وحفظ القرآن و تكرار تلاوة طول العمر، هذا ما كانت التدابير التي اتخذها النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة ، رغم أذى المشركين، ولما هاجر الى المدينة ووجد سهولة أكثر لتبليغ الدين ، اتخذ تدبيرا جديدا مهما. فقد روى البخاري (١٢) عن فاطمة عليها السلام أسرالى النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة، أنه عرضني العام مرتين ، وما أراه إلا حضور أجلي. وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض على رسول الله ﷺ القرآن..... وعن أبى هريرة قال : كان يعرض جبريل على النبىﷺ كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذى قبض. وكان يعتكف كل عام عشرا ، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض، وقال ابن كثير (١٣) المراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعال ليبقى ما بقى ويذهب مانسخ، توكيدا واستثباتا و حفظاً ، ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريئل مرتين، وعرضه به جبريئل كذلك ، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله ، وعثمان رضى الله عنه جمع المصحف على الامام علي رضـ العرضة الأخيرة وكانت هذه العرضات معروفة ، فكان لا بد من أن يجى الصحابة حينئذ بنسخهم من القرآن ويقارنون على تلاوة النبى عليه السلام ويصححون نسخهم ، وذكر العرضة الأخيرة كثير ، وكان يحضرها بين أخرين سيدنا زيد بن ثابت كاتب الوحى أيضا.

ويظهر أن النبى ﷺ كان أراد في أواخر عمره أن يستنسخ نسخة كاملة من القرآن كما نرى في مانقله السيوطى (١٤) قال الحارث المحاسبى فى كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً فى

الرقاع والأكتاف والخشب. فإنما أمر الصديقؓ بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرة فجمعها جامع وربط بخيط حتى لا يضيع منها شئ.

كان القرآن على هذه الحالة لما توفى النبى عليه السلام . ولما تولى أبو بكر الخلافة لم يشتغل به في أول الأمر، ولكن حروب الردة أكرهته عليه فقد استشهد فيها كثير من القراء وحفاظ القرآن. وأول من تنبه بخطورة الحال هو سيدنا عمر فذهب إلى الخليفة أبى بكر الصديق وقال : إن أصحاب الرسول يحبون الموت في سبيل الله كما يحب آخرون الحياة ولن يزالوا في المستقبل ، فلو أمرت بتبييضه في صورة كتاب. فقد روى البخاري (١٥) أن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة (يقاتلون مسليمة الكذاب) ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبى بكر رضى الله عنه : ان عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القران ، وأنى أخشى أ ن يستحر القتل بالقرآن بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدري ورأيت في ذلك الذى رأى عمر قال زيد: قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من الخشب ، واللخاف، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى ، لم أجدها مع أحد غيره.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ.....﴾

حتى خاتمة برأة. فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عمر حياته عند حفصة رضى الله عنهم. (١٦)

روى السيوطى(١٧) عن الحارث المحاسبى:"أوراق و جدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرة فجمعها بجامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شئ " كان النبى عليه السلام أراد في أواخر عمره تدوين نسخة كاملة للقرآن ، إما من تلقاء نفسه أو على طلب زوجته العالمة الفاضلة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ويظهر أن تلك النسخة لم تكن كاملة وإلا لم يشتغل أبو بكر الصديق بجمع القرآن ، ثم نادى أبو بكر في المدينة المنورة : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به ، (السيوطى) وأخرج ابن أبى داؤد أيضا ..... أن أبا بكر قال لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكم بشاهدين على شيئ من كتاب الله فاكتباه .....وقال السخاوى في جمال القراء : المراد انهما يشهدان على أن ذلك كمكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ ..... وقال أبو شامة : وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ ، قلت أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته (السيوطى كذلك)

وفي رواية الطبرى عن زيد بن ثابت قال: لما كملت كتابة القرآن في المصحف قرأته . فوجدته تفقد فيه آية ٢٣ من سورة الأحزاب (٣٣-٢٣)

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضٰى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوْا تَبْدِيْلًا﴾

فبحثت عنها عند المهاجرين بيتا بيتا فلم أجدها عندهم ، ثم بحثت كذلك عند الأنصار فلم أجدها الا عند خزيمة بن ثابت الأنصارى ، فكتبتها ثم قرأت النسخة مرة

أخرى فوجدت تفقد فيها آيتان من آخر سورة التوبة (٩-١٢٨-١٢٩). ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ الى : ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ﴾ ، فبحثت عند المهاجرين فلم أجدهما عندهم ، ثم بحثت عند الانصار ، فلم أجد عندهم الا عند خزيمة أخيرا ، فأدختلهما ثم قرأت ثالثا من أوله الى آخره ، فلما اطمأن خاطرى أنه جامع مانع لا ينقص شئ ، قدمت نسخة الصحف الى أبى بكر فأثنى على فكانت عنده.

لا أبحث كثيرا عن إدخال الآيات على شهادة واحدة، فالطبرى يصرح عند زيد بن ثابت خزيمة و خزيمة آخر " ، بينما البخارى (٦٦-٢)يقول لآيتى التوبة أبي خزيمة ولآية الاحزاب الخزيمة بن ثابت. وذكر عن خزيمة بن ثابت أنه ذو الشهادتين ؛ وكان رسول اللّٰه ﷺ جعل شهادته كشهادتين (وله قصة) ولم يذكر سبب قبول شهادة أبى خزيمة رضى اللّٰه عنهم لعلهم وجدوا شهادة واحدة مكتوبة وشهادة أو شهادات أخرى من صدور الحفاظ الذين كانوا أميين ولكن حفظوا عن رسول اللّٰه ﷺ رأسا.ذكر الرواة أيضا ردّ الشهادة الواحدة (في هذا الصدد)، فسيدنا عمر رضى اللّٰه عنه قال: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نكالا من اللّٰه ..... آية ، وأن النبى عليه السلام كان قال : "هو من كتاب اللّٰه " لم تكن هناك شهادة أخرى فردوه ، كأنه سهو من سيدنا عمر، فالمراد بكتاب اللّٰه يجوز أن يكون التوراة (وهذا الحكم موجود في التوراة المتداولة الآن أيضا) وأن الكتاب معناه أمر اللّٰه (كما في الآية :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَت عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتَاباً مَوْقُوْتا﴾

وذكر أن فى قرآن سيدنا ابن مسعود التشهد أيضا، ولم يكن فيه سورة الفلق و سورة الناس. وهو أيضا الاستنباط ، لا النص من صاحب الشريعة. فروى ابن مسعود رضى اللّٰه عنه أن النبى عليه السلام كان يعلم التشهد كما كان يعلم السور من القرآن أو ظن أن كل ما يقرأ في الصلاة فهو قرآن.

أمـامـا يتعـلـق بـالـمعوذتين ، فمروى أن النبى عليه السلام كان عادة يستعملهما كـالرقية يقرأهما وينفث في كفيه ويسمع بهما رأسه ووجهه ، فكان سيدنا ابن مسعود لا يكتبهما في قرآنه (راجع تفسير ابن كثير بين آخرين) وهو أيضا من سؤ التفاهم ولم يبن عـلـى صـراحة من النبى عليه السلام، بينما روى آخرون من الصحابة أنهما من القرآن قرأهما رسول الله في الصلوات.

فكـان الأمـر عـلـى هـذا حتـى سـنة خمسة وعشرين أو ستة وعشرين للهجرة من خـلافة سيـدنـا عثـمـان رضـى الـلّـه عـنـه. (فدخلت في تلك السنة جنود المسلمين في الأنـدلـس من جهة وفيما وراء النهر من حدود الصين من جهة أخرى ، كما ذكر الطبرى والبلاذرى بين آخرين) فروى البخاري (١٨) ان حـذيفة بن اليمان قدم على عثمان و كان يـغـازى أهـل الشـام في فتح أرمينية و آذربيجان مـع أهل العراق. فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة و قال القسطلاني (٢٠) في شرح هذا الحديث أن هذا وقع قرب ارض الروم (أرض الـروم الـحـالية في تركيا). فقال حذيفة لعثمان ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأئمة قبـل أن يـخـتـلـفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسلت بها الى عثمان. فأمر زيـد بـن ثابت وعبد الله بن زبير و سعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فـنـسـخـوهـا في المصاحف. وقال عثمان لرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بـن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة. فأرسل إلى كل أفق بـصـحف مما نسخوا. وأمر بما سواه من القرآن في كل صحفية أو مصحف أن يحرق (وفي نسخه من صحيح البخاري : "يخرق")

لا نـعـرف كثيـرا عـن تـطبيـق أمـر الـحرق أو الخرق في النسخ ماليس في النسخة الـرسمية. لعله يتعلق بنسخة أو نسختين عند المنافقين المحرفين الذين لفقوا أشياء في

نسخهم فأخذتها الشرطة وأتلفتها وإلا فقدبقى الى القرن الرابع للهجرة مواد دَوّن على أساسها ابن أبى داؤد وآخرون كتبا ضخمة في اختلاف القرآن. وهذه الاختلافات تتعلق إما بالتلفظ حسب لهجات القبائل ، أو بالتفسير الذى كتبه بعض الصحابة على نسختهم وفي أولادهم وأحفادهم ، وهم الناس ، فجعلوه آية من القرآن. وهناك اختلاف و تناقض أيضا في الروايات فبعضها تقول في قرآن كذا كان هكذا. وفي رواية عن آخر بعكس ذلك تماما. فاذا تعارضا تساقطا، وبقى المتواتر بدون شبهة. نسخ عثمان رضى اللّٰه عنه فكتبوا أربع أو سبع لسيدنا عثمان رضى اللّٰه عنه ، أبقى عنده واحدة وأرسل أخرى الى مختلف مراكز الدولة الاسلامية ، ثم حدثت حوادث في القرون المتاخرة من حريق أو سيل غير ذلك ، ونسب الى سيدنا عثمان ثلاث نسخ في عصرنا هذا واحدة منها كاملة وهى في استانبول (في متحف توب قابى سراى) وجاءوا بها زمن الحرب العالمية الأولى عندما خرجت الانكليز وشريف حسين. ونسخة أخرى في تاشقند، وكان في دمشق. فلما احتلها تيمور لنك أخذها في الغنيمة وجاء بها الى سمرقند عاصمته. ثم بعد قرون لما احتل الروس سمرقند نقلوه الى عاصمتهم بطرسبورغ (لينن كراد حاليا) فكان بها الى سنة ١٩١٩م ولما قتل الشيوعيون ملكهم واحتلوا العاصمة، كان في جيش الروس جنرال مسلم اسمه على أكبر توبجى باشى ، أرسل كتيبة الى قصر الملك فأخذ النسخة وأرسلها في الفور في قاطر السكة الحديدية بكل سرعة إلى تاشقند، كما ذكر لي هو في باريس رحمه اللّٰه ، وكان من اللاجئين، فلما عرف سلطات الشيوعيين بعد عدة ساعات أرسلوا قاطرا آخر في عقب الأول ولكن لم يتمكنوا. وبعد برهة لما تمكن الشيوعيون من احتلال تركستان عن جديد، خلوا النسخة في تاشقند وقالوا أى فرق إذا كان المال في هذا الجيب أو ذاك الجيب ، مادام كلاهما لى؟ ان حكومة قياصرة الروس كانت قد طبعت نسخة مصورة من هذه النسخة،

خمسين نسخة فحسب ، فالأصل موجود وليس بكامل، ولم يبق الإثلثان والباقى نفد في ممر الدهور، والأستاذ طه الولى الذى رآه منذ قريب بقول : ضاع الآن أكثر ، ولم يبق إلا عدة أوراق، والنسخة الثالثة في مكتبة انديا أو فيس لائبريرى في لوندرا ، جاء بها الانكيز في سنة ١٩٥٨م عندما هزموا جيوش سلاطين مغول واحتلوا مكانهم، وهذه النسخة أيضا غير كاملة ، ولم يبق إلا النصف تقريبا، ولكن من حسن الحظ بقى آخره حيث كتب الكاتب : ''كتبه عثمان بن عفان'' (رضى الله عنه).

لا أجد وقتا اليوم للبحث في صحة الانتساب إلى هذه النسخ الثلاث.

تبويب القرآن

قسم النبى ﷺ القرآن في ١١٤ سورة ، وفي كل سورة بين ثلاث الى ٢٨٦ آية ، ثم قسموا القرآن بعد ذلك في سبعة أجزاء سموها منازل ، لأن النبى عليه السلام أوصى أن يتلوا الناس القرآن بتدبر ، ولا يتلوه فى أقل من أسبوع، فقد ذكر ابن كثير أن النبى عليه السلام قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك. وذكر أيضاأن ابن مسعود وتميم الدارى رضى الله عنهما كانا يقرآن جميع القرآن من جمعة إلى جمعة. فكان لا بد من تقسيمه إلى سبعة منازل.إن معنى هذه المصطلحات من آية و سورة ومنزل معنى عميق لطيف، الآية من مادة أوى يأوى أى يذهب إلى الفراش لينام. والسورة من السور وهو الجدار، فكان السورة معناها الحجرة أى الغرفة بينما المنزل هو حيث ينزل المسافر بعد سفر اليوم ويستريح ثم يداوم السفر بالغد. ففيه معنى عميق لطيف :المسافر في الدنيا في سفر طويل يحتاج الى أن ينزل كل يوم في منزله ، ويستريح في حجرة وينام في فراش. والمسافر إلى الله أيضا يحتاج الى منزل وغرفة و فراش ، أى إلى منزل و سورة وآية ، و سفر لا إلى نهاية .

ويرمز رقم السبعة إلى مالا نهاية له ، ولذلك عدد المنازل في القرآن سبعة. والله أعلم. يقول الله في القرآن :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُم﴾،ويقول:﴿ وَنَحنُ أَقرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ اْلوَرِيْدَ﴾

ولكن لا نراه ومعناه هو تعالى موجود واجب الوجود ، ونحن عميان. ومع ذلك نحب أن نذهب و نشوق الى خالقنا و محبوبنا. إذا كان أحد لا يرى ، ولا يعرف الطريق، والطريق مملوء بالعوائق، فكيف يعمل ؟ إلا مكان الوحيد هو أن يدل المحبوب بالكلام كيف يتقدم وأين يرجع يمينا ويسارا إلى غير ذلك. وهذه هي وظيفة كلام الله الذى هو هدى للمتقين.

صيانة النص القرآني

أصل الاناجيل باليونانية ، والباقى كله مترجم منها الى سائر اللغات. ولذلك مربيال علماء النصارى الألمان في أواخر القرن الماضى أن يجمعوا جميع مخطوطات الأناجيل فيقرنوا بعضها مع بعض فجمعوا النسخ الكاملة والناقصة وحتى قطعات، من جميع العالم ثم قارنوا كلمة كلمة. ونشروا نتائج المقارنة فقالوا:

> Le material scripturaire se composed' onciaus, de minuscule, de lectionnaries liturgiques. de papyrus, d' ostrace (texts brefs ecrits sur tessons de poterics), de talismans, et enfin des differents versions et des citations d' auterus anciens, qui sont elles-memes a verifier. Cette masse enorme depasse ce don't on dispose pourn importe que texts antique:elle a fourni quelque 200.000 variantes.

La plupart sont des variantes insignifiantes: variations d' orthographes ou lapus calami Deja Westcott et Hort, en donnant de chiffre, constataient que les sept huitiemes du tests etaient assures et que les variantes importantes ne prtient que sur une part infime".

انهم وجدوا فيها..... تقريبا مائتى ألف اختلاف الروايات وزادوا أن الثمن منهامهم. ولعله كان هذا هو الداعى لتأسيس معهد للبحث في القرآن في جامعة مونيخ في المانيا وحاولوا أن يجمعوا فوتو غرافات مخطوطات القرآن من جميع العالم. وفي السنة ١٩٣٣م كان الأستاذ بريتسل الرئيس الثالث لهذا المعهد وجاء الى باريس ليصور المخطوطات التى توجد في فرنسا (وفي المكتبة الأهلية في باريس نسخة يظن المستشرقون الفرنسيون أنها من القرن الثاني للهجرة.وكنت حينداك في السوربون. فقال لى الأستاذ بريتسل إنه يوجد عندهم في ذلك الوقت اثنان وأربعون ألف من نسخ القرآن ، سواء كاملة أو قطعات وأنهم مشغولون بمقارنة هذه النسخ حرفا حرفا. وقبيل الحرب العالمية الثانية نشروا تقريرا موقتا، فقالوا انهم الى ذلك الوقت لم يجدوا اختلافات الرواية الا ما هو من سهو الكاتب. وفي أثنا الحرب وقعت قنبلة أمريكية على هذا المعهد فلم يبق منه ولا إبرة واحدة. ولو جمع أحد مرة ثانية هذه المواد، لأن الأصول محفوظة كلها ، فيصلون باذن الله إلى نفس النتيجة فلا يوجد فرق بين المخطوطات ، وكذلك لا يوجد فرق بين حفاظ القرآن وهم يعدون بمئات الآلاف بين مشارق الأرض ومغاربها. إلا ماهو معروف منذ قديم الزمان من الاختلاف بين القراء فى تلفظ بعض الكلمات التى لا يغير المعنى، وهو من رخصة النبى عليه السلام لحاجات لهجات القبائل العربية.

تراجم القرآن

اللغات تتغير بمرور الزمن ، وبعد عدة قرون تصير اللغة غير مفهومة للأجيال المتأخرة سواء باليونانية أو اللاطينية أو الفرنسية أو الروسية أو الانجليزية أو غيرها ، والا ستثناء الوحيد هو اللغة العربية التي لم تتغير منذ ألف وخمس مائة سنة على الأقل سواء في الصرف والنحو أو الإملاء أو التلفظ أو معاني الكلمات. لعل هذا الثبات وعدم التغير كان لازما لرسالة الله الأخيرة التي جاء بها إلى البشر من لا نبي بعده. فلو كان النبي عليه السلام حيا اليوم لفهم الإذاعات والجرائد باللغة العربية كما نفهم اليوم القرآن والحديث.ولكن القرآن لم يجئ للعرب فحسب بل كافة للناس بشيرا ونذيرا. فلا نصلي الا بالعربية ولكن لا مانع أن يقرأ العجمي القرآن والتفسير في الترجمة.يظهر أن ترجمة القرآن بدأت في العصر النبوي فقد ذكر شمس الأئمة السرخسي (٢٠):"روى أن الفرس كتبوا إلى سليمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية". وفي رواية تاج الشريعة الحنفي زياده فيقول: أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية" فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) بنام يزدان بخشاوند الخ) وبعد ما كتب عرضه على النبي ﷺ ثم بعثه اليهم ، ولم ينكر عليه النبي ﷺ .(٢١) قال الجاحظ في البيان والتبيين. (٢٢)

أن موسى بن سيار الأسواري كان يفسر القرآن بالفارسية. (وهذا من القرن الثاني للهجرة). وقال بزرك بن شهريا .(٢٣)

أن القرآن ترجم كاملًا في سنة ٣٤٥ هـ تقريبا الى إحدى لغات شمال الهند (كأنها السندية أو الملتانية) وفعلا توجد الى هذا اليوم تراجم القرآن بالفارسية والتركية الشرقية والتركية الغربية، وهي من عمل علمائنا من العهد السامانى أى القرالرابع للهجرة ، وقد نشروا منذ قريب في إيران ترجمة القرآن وخلاصة تفسير الطبري وكل

ذلك بالفارسية ألفه جماعة من كبار العلماء بأمر الملك منصور بن نوح السامانى في سنة ٣٤٥م.

القول بعدم جواز الترجمة

نرى مما مضى أن ترجمة القرآن الى اللغات العجم قبلها العلماء المسلمون بدون أدنى نكير، أما القول بعدم جواز الترجمة فلم يحدث الى في القرن الماضى في تركيا العثمانية وفى مقاطعات العربية مثل سوريا ومصر. فلو تدبرنا وتعمقنا لوجدنا أن هذا معاصر لفتوح النصارى الأروبيين واستعمارهم بلاد الاسلام. فمعروف أنهم حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة. فلمّ يكتفوا بإرسال المبشرين في شتى الملابس، بل منعوا أيضا تدريس اللغة العربية حتى في المستعمرات العربية مثل شمالى افريقية. كانوا يخافون القرآن للنصرانية أكثر من سيوف المسلمين فأرادوا إتمام حصار قلعة الإسلام بمنع تراجم القرآن باللغة الأجنبية. فالمسلمون غير العرب لا يعرفون العربية ولن يجدوا تراجمه بلغات يعرفونها، فتبقى الساحة فارغة للنصرانية. كأن أحد المبشرين قال لبعض علماء الإسلام الساذجين : " حقا القرآن معجزة، لا تتحمل بلاغته الترجمة". فوثب هذا العالم الساذج لشدة السرور وظن أن الفضل ماشهدت به الأعداء، وبدأ يتكلم حوله ويكتب أن القرآن تصعب أو تسحيل ترجمته، وتبعه آخرون ، وفي الخطوة الثانية قالوا : "القرآن لا تجوز ترجمته " وكأن هؤلاء المبشرين النصارى ظنوا أن ترجمة القرآن لا يقوم بها إلا العرب، بينما التاريخ يقول إن المسلمين العجم هم الذين تعلموا العربية وترجموا القرآن إلى لغاتهم لتدريس أولادهم وعامة أهل بلادهم الذين لم يدرسوا العربية. وهكذا يتضح لنا لماذا انحصرت الحركة ضد ترجمة القرآن ببلاد العرب وبالدولة العثمانية مركز الخلافة، ولم تصل إلى الهند وإندونيسيا وأفغانستان وإيران مثلاً:

توجد تراجم القرآن الآن في جميع كبار لغات العالم ، وأيضا في كثير من صغارها ، وبلغ العدد في فهرستي المتواضع إلى أكثر من مائة وأربعين، وفي كثير منها أكثر من ترجمة واحدة. مثلاً في أردو أكثير من ثلاثة مائة ، وفي الفارسية والتركية أكثر من مائة وبالانكليزية قريب من مائة ، وباللاتينية ثلاثة وأربعوان ، وبالفرنسية ست وأربعون، الى غير ذلك ، كنت سعدت بنشر كتاب اسمه " القرآن في كل لسان" فيه تفصيل التراجم في كل لغه مع أنموذج لسورة الفاتحة. الطبعة الثالثة منها كانت في سنة ١٣٦٦هـ ، وكانت عندى في ذلك الوقت تراجم في ٦٧ لغة وتنتظر الطبعة الرابعة المنقحة المزيدة فيها الى وسائل. لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

الهوامش

١- الفتوحات المكية، ج ٣ ، ص : ٦٠٧-

٢- المسند للامام أحمد ، ج ٥ ، ص : ٢٦٥-

٣- سورة النجم ٣٧- ٤٢-

٤- ابن اسحاق : كتاب المبتدأو البعث والمغازي ، ص : ١٢٨، فقرة ١٩٢-

٥- الصحيح : ٦٦-٤-٢-

٦- مجمع الزوائد ، ج ١ ، ص : ١٥٢ ، و٨ ، ص: ٦٣٧٥-

٧- سيرة ابن بشام ، طبعة أوربا ، ص : ٢٦٦-

٨- الروض الأنف ، ج ١ ، ص: ٢١٧-٢١٨-

٩- وفاء الوفاء طبع بيروت ، ص : ٨٥٨-

١٠- من حاشية تفسير القرآن لابن كثير ، ص : ١٢-

١١- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٦١، ص : ٤٠٥ ، سنن أبي داؤد : كتاب الصلاة ، باب إمامة النساء: ١٦٢: ٢- الاستيعاب لابن عبد البر ، قسم النساء ، رقم ١٠٧ ، الوفاء لابن الجوزى ص : ٣١٧- المطالب العالية لابن حجر رقم ٤١٥٩ عن ابن راهوية-

١٢- البخاري : كتاب ٦٦ باب ٧ أحاديث ١ ، ٢ ، ٣-

١٣- ذيل التفسير ، ص : ٢٧-

١٤- الاتقان في علوم القرآن،، النوع الثامن عشر، في جمع القرآن وتدوينه-

١٥- البخاري ، كتاب ٦٦ باب ٣ ، جمع القرآن ، حديث رقم ١-

١٦- راجع لتفاصيل أخرى: تفسير الطبرى ، وذيل تفسير ابن كثير ، واختلاف القرآن لابن ابى داؤد بين آخرين-

١٧- الإتقان في علوم القرآن ، النوع الثامن عشر ، في جمع القرآن وتدوينه-

١٨- تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص٢-

١٩ـ البخاري : ٢٢ـ٣ـ٢ـ

٢٠ـ شرح القسطلاني على صحيح البخاري ، المجلد الرابع ، ص : ٤٨ـ

٢١ـ المبسوط للسرخسي ، ج ١ ، ص : ٣٧ـ

٢٢ـ النهاية حاشية الهداية ، لناج الشريعة ، طبع دهلي ، ١٩٥٠م ، ج ١ ، ص : ٨٦ ، حاشية رسم ١ـ

٢٣ـ البيان والتبيين ، ص ١ ، ص : ١٢٩ـ

٢٤ـ عجائب الهند والصين ، ص : ٢ـ٣ـ